

## عراك في معترك

أى معترك !

فصل في الرمزية

للأستاذ زكي طلبيات



في مقالينا السابقين<sup>(١)</sup>، دفننا نهماً معتقوعة لا تقوم على حجج علمية، كما كشفنا عن منالطات صريحة متممة لم يجد الأستاذ محمد متولى سواها مطية للرد علينا، ليوم نفسه ويوم للقارىء العابر أنه سوّد ثلاث صفحات تلمع بهرج الجدل للفاسق فملنا هذا بعد أن جعلنا در آذانتنا سباباً ومهارات لفظية من جانبه تقيم الحجة على أن الأستاذ متولى لم ينزل إلى موضوعية للتقد فيما نحن بصدده، بل انحرف إلى أطراف الموضوع يشدها ويشدها، متخذاً منها أرجوحة تطوحت به إلى فضاء ما كنا نحب أن نراه يشغل فراغه !

## مول الرمزية الفنية

وإذا قلنا إن متولى لا يريد أن يفهم ما نكتب، أو هو يفهمه ثم يتجاهله، لما قررنا غير الواقع ١١ وآية ما نذهب إليه - وقد حققنا قبل ذلك آيات بينات - أننا قررنا، فيما سبق أن كتبناه<sup>(٢)</sup> رداً على مقاله الأول<sup>(٣)</sup>، أن متولى يخلط بين ألوان الرمزية، وأبدنا ذلك بقوله من كلام (ريبو) نفسه، مرجع متولى الأوحى في كل جدل<sup>(٤)</sup>، ثم شغفنا ذلك بتطبيق آخر وارد في نفس الكتاب (صفحة ١٦٩ - ١٧١)، وهو تأييد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكان أن طلع علينا متولى بما زاده إسمائاً في خطئه وفي حيرته، ومررد هذا أن متولى هو أول من أسى الرمزية الليتافيزية، أو رمزية ما وراء الطبيعة، أو الرمزية الفلسفية عند (ريبو)، باسم (الرمزية الفنية)<sup>(٥)</sup> وهما نحن أولاء

(١) الرسالة رقم ٣٨٣، ٣٨٤

(٢) الرسالة رقم ٣٧٩ من ١٥٤٨ العدد الأول . ص ٢٩

(٣) الرسالة رقم ٣٧٦

(٤) طبعة باريس ١٩٢٦ من ١٩٦٦

(٥) راجع مقال الأستاذ متولى . الرسالة رقم ٣٧٦ من ١٤٤٩ ص ١٠

العدد الأول

نسجل جلته التي وجهها إلى الدكتور بشر فارس: « أأست نحدثنا بهذا المزج للصوفي ناسياً الفرق بين الرمزية للصوفية التي تفيض عن الخيلة والشعور، والرمزية للفنية التي تمتد على الخيلة مضافاً إليها عنصر عقلي كما يقول ريبو ». أسى متولى هذه للتسمية عن عدم تثبيت أو عن قصد مرسوم - أيهما لا أدري - فلما جاريناها تساهلاً في هذه التسمية التي هي وليدة خيلته المبتدعة وليست وليدة خيلة (ريبو)، وناقشنا على هذا الأساس ليفهمنا ويتبعنا، مدللين على أن متولى يخلط بين ألوان الرمزية لينفي عن مسرحية (مفرق للطريق) طابع الرمزية الأسيل، قام بهما بما أخذناه عليه، وكأنه يابى أن ينزل إلى حق أو حجة أو برهان ...

ولكننا أوتينا الصبر والجلد، وهما نحن أولاء تقدم فصلاً (في الرمزية) كما أرادها (ريبو) في محاولته (Essai sur l'ima- gination créatrice)<sup>(١)</sup>، وليس كما أرادها الأستاذ متولى في مقالته السابقين، وسنوق في عرض هذا الفصل الأخطاء التي تورط فيها متولى عفواً أو عمدًا

## الخيلة في رأى ريبو

يقسم (ريبو) الخيلة قسمين رئيسيين عامين كلاهما إزاء الآخر مكان الماء من النار

١ - للقسم الأول، وأسماء (ريبو) الخيلة المصورة Imagination Plastique وخاصيته وضوح للصور الجزئية ونحدها، وقربها من الإدراك، وإيهامها بأنها حقائق، وتداخل بعضها في بعض لصلات بينها موضوعية، قابلة للتعيين بدقة، ومن ضروب هذه الخيلة: خيلة المثال والهندس والشاعر الواسع، وبعض أرباب العلوم والصناعات

٢ - والقسم الثاني؛ وأطلق عليه ريبو اسم (الخيلة للسيالة) Imagination Diffluente وخاصيته التقريب بين صور جزئية غامضة ملتبسة فياضة، ويكون هذا التقريب على هوى الاستعداد للشعوري من غير قاعدة ولغير سبب منطقي. ومن ضروب هذه الخيلة: أحلام اليقظة، وجولان الفكر، وتلفيق القصص، وبعض التصورات الدينية، وبض ألوان الفن، مثل فن الرمزية ولا سيما « الأدب الرمزي » الذي كان في عصر (ريبو) حين صدور كتابه، أي قبل عام ١٩٠٠

(١) مرجعنا في هذا البحث الطبعة السابعة من هذا الكتاب التي صدرت في باريس سنة ١٩٢٦

عليه في ناحية الأدب ، وثمة إشارة إلى ناحية للتصوير - يصح  
بجزة قلم من الأستاذ متولى يحمل اسم « الرمزية الفنية » ٢١١  
وللقارى أن يتأمل كيف خلط متولى الرمزية للصوفية بالرمزية  
في الأدب والتصوير فجعلهما شيئاً واحداً ، هذا في حين أنهما عند  
(ريبو) منفصلان أساساً وتقع كل منهما في باب مستقل عن الآخر  
هذا والتمعن ذو النظرة العلمية السليمة في توطئة « مفرق  
الطريق » يلحظ أن « الاضطراب » *facteur émotionnel* هو  
من أساس الإنشاء الفني فيما يزيد أن تقرره (راجع مثلاً للقسم  
الخاص بالرقص في التوطئة المذكورة)

٢ - يعود الأستاذ متولى إلى الرمزية للصوفية التي  
في التوطئة الفنية للبيئة فيقول مخاطباً صاحب السريحة :  
« ألم تحدثنا بهذا أيضاً مع أنه وصف للتخييل للصوق التي يؤلف  
بين الصور الباطنة المبهجة ويستخرج منها رموزاً يستعملها كما هي  
بمكس الرمز في الفن الذي يحصل من (تحليل الصور) والحركات  
والألوان ؟ »<sup>(١)</sup>

وإلى القارى نص (ريبو) (ص ١٨٧ من ١٧ - ٣٠)  
« إن مصدر طرافة الخيلة للصوفية أنها تحول الصور للمينة  
*Images concrètes* إلى صور رمزية فتستعملها على أنها كذلك  
*comme telles* لا كما هي ، وتوع تصوير الخيلة للصوفية لا بد  
له من أن يكون تركيباً

وتختلف الرمزية الصوفية - بسبب هذا النوع والأدوات  
التي تستخدمها - عن الخيلة الشعورية *affective* التي وصفها  
آنتفاً (السيالة) وعن الخيلة الإحساسية *sensorielle* (بني  
المصورة)<sup>(٢)</sup> التي (تستخدم) للصور والحركات والألوان على أنها  
لها قيم خاصة

فالقارى يرى أن متولى عكس الكلام وقلب الحقائق ،  
إذ نسب إلى (الخيلة للسيالة) ما نسب (ريبو) إلى (الخيلة  
المصورة) من أن الصور والحركات والألوان « تستخدم » لميها ،  
(لا تحلل كما توهم متولى في الترجمة ١) على أن لها قياً خاصة ، وقد

(١) مقال الأستاذ متولى - الرسالة ٣٧٦ المود الأول من ١٤٤٩  
س ١٨ - ٢١ .

(٢) تقدم بنا في مرض منذهب ريبو أن « الخيلة السيالة » توامها  
الشعور ، *affective* في حين أن « الخيلة للمصورة » توامها الإحساس ،  
*sensorielle* . راجع كتاب « ريبو » ص ١٠٤ ، ص ٣٠٠ ، ص ١٨٤ كلها

ويذهب (ريبو) بعد ذلك إلى أن للمحبة أنواعاً أخرى أقل  
عموماً من التقسيم السابقين ، منها (الخيلة للصوفية) . وفي رأى  
(ريبو) أن هذه الخيلة الصوفية تمت بسبب إلى « الخيلة السيالة »  
ولا سيما في شكلها الشموري ، وإن كانت لها خصائصها ، وهنا  
يحلل (ريبو) هذه الخيلة ، ويميزها عن الخيلة الدينية والخيلة  
الفلسفية<sup>(١)</sup>

ذلك هو مجمل مذهب (ريبو) في الخيلة على أقسامها وضروبها .  
والآن نرجع إلى ما كتبه الأستاذ متولى في الرمزية ، ونراجع  
استشاداته لتبين مدى فهمه ومقدار أمانته وهو يستند إلى  
كتاب مطبوع متداول . وفيما سنورده أقوال جديدة وأخرى  
سبق أن رددنا بها أخطاء الأستاذ متولى في مقالته السابقة ،  
وقد آثرنا تكرارها لترد متراسة في صعيد واحد مع هذا للفصل ،  
بعد إيفائها حقها من للشرح والبيان :

١ - ظن متولى أن الرمزية في توطئة مفرق الطريق محض  
صوفية ، فخاطب صاحب السريحة قائلاً : « ألسنت تحدثنا بهذا  
التزوع للصوق تاسياً للفرق بين الرمزية للصوفية التي تفيض  
عن الخيلة والشمور ، والرمزية الفنية التي تعتمد على الخيلة مضافاً  
إليها عنصر عقلي ، كما يقول (ريبو) »<sup>(٢)</sup>

وإلى القارى نص (ريبو) ص ١٩٦ من ٨ - ١١ عن التفرقة  
بين الرمزية الدينية ، ورمزية ما وراء الطبيعة أو الفلسفية : « إن  
الرمزية للصوفية إذا اتجهت نحو الدين فإنها تعتمد على عنصرين  
أساسيين : هما للتخييل والشمور ، وإذا اتجهت نحو الفلسفة  
أو ما وراء الطبيعة فإنها تعتمد على الخيلة مضافاً إليها عنصر عقلي  
واهن » فالقارى يرى من معارضة حديث متولى بنص (ريبو)  
أن الناقد اعترض الكلام إذ نسب إلى ما يسميه هو (الرمزية  
الفنية) ما خص به (ريبو) « الرمزية الصوفية » المتجهة نحو  
ما وراء الطبيعة أو الفلسفية . هذا ، وأما العنصر التي خص به  
(ريبو) « الخيلة للسيالة » فهو الاضطراب *facteur émotionnel*  
(راجع كتاب (ريبو) المذكور ص ١٧١ من ١٠ - ١٢) . وقد  
تقدم أن « الخيلة للسيالة » هي التي تمثل في فن الرمزيين  
*l'art des symbolistes* . وهذا الفن - ومعلم كلام (ريبو)

(١) نص الكتاب السابق التذكر . القسم الثالث ، الباب الأول  
والثاني والثالث ، ص ١٤٧ - ١٩٧ .

(٢) مقال الأستاذ متولى الرسالة ٣٧٦ من ١٤٤٩ ص ١٠

كلامه على كل منها قائماً بذاته (أنظر صفحة ١٦ - ١٧١). ثم إنه ضرب مثلاً على التصورات الدينية الخيالية الهندية التي تعمل عن طريق الرمز per symbolisme فنمثل الآلهة بمدة أرؤس وأذرع وأرجل لتدل على القفظة والمزة اللتين لا حد لها<sup>(١)</sup>

وهذا الأسلوب في التمثيل والتعبير معروف ، وهو الرمز بشيء إلى شيء آخر ، وهو أولى فطري ، ولا صلة له - من حيث الجوهر - بالرمزية في الأدب (والتصوير) ، وهي الرمزية التي ضربها ريبو مثلاً على بعض ألوان الفن كما مر بالقارى . وقد شرح ريبو هذه الرمزية ، وبين أغراضها وطرائقها على حسب مظهرها ونخبها قبل عام ١٩٠٠ ، فدل على أنها تقصد إلى الإيحاء فبسط الإيحاء على الأشخاص والأشياء حتى إنها تطلقها من قيود الزمان والمكان ، وربما لم يعين الأشخاص بأسماء فيقال : « هو » و « هي » ... (ص ١٦٩)

ذلك مجمل حديث (ريبو) ... أنيدري للقارى ماذا صنع السيد متولى ؟ خلط رمزية الخيالية الهندية - وهي من باب الرمز بشيء إلى شيء معنوي - بالرمزية في الأدب التي تطلب الإيحاء من باب بسط الإيحاء ١١ ودليل ذلك أنه استشهد بهذه وتلك ، وهو يتكلم على ما يسميه « الرمزية في الفن » عند ريبو فجعل مصدرها واحداً ، أي « فن الرمزيين » ليأخذ على صاحب المسرحية أنه جعل الرمزية في توطئته تعدل عن الرمز بشيء إلى شيء آخر ، إلى « استنباط ما وراء الحس من المحسوس وإبراز الضمر وتدوين اللوامع واللبوادة » ١١

والآن ألا يصح أن نقول لمتولى - وقد أخذ علينا مزموماً متطاولاً أننا لا نحمل شهادة ماجستير - إننا نحمد الله على هذا المكروه الجميل ما دام لم يسلمنا إلى ما هو غير جميل ، وأن نهمس في أذنه بأن الألقاب المليحة ، مهما كبرت ، فإنها لا تخلق الرجل المخلص والأديب الحق ، وأن هذه الألقاب إنما ترهى بحاملها ، وإلا فهي تيجان من ورق على رؤوس من خشب ١١

أعتقد أن هذا تساؤل مشروع ، ما دام (الصديق) محمد متولى لم يتمود بالله وبالفن من التكلف لما لا يحسن والمجرب بما يحسن ، ولم يتمود بالأدب من السلاطة والمخدر ١

زكى طهيرات

تقدم بالقارى أن (الخيالية السبالة) ضد (الخيالية المصورة) وهما نحن أولاء نسجل نص (ريبو) في التفرقة بين هاتين الخيالتين كما هو وارد في الكتاب المذكور ص ١٦٣ - ١ - ٢ ، ص ١٦٥ ص ٤

Ainsi l'imagination dtffluente est, traits pour traits, le contraire de l'imagination plastique.

٣ - ويقول الأستاذ متولى : « ثم مارأبك في أن (ريبو) يقصد بالرمز في الفن أن يفقد بعض الألفاظ استعماله العقول المبروف ليدل على معنى جديد بينما أنت<sup>(١)</sup> »

وإلى القارى نص ريبو « ص ١٧٠ » عند الكلام على أساليب للكتاب الرمزيين الذين يمدون إلى الإيحاء في التعبير ويترجمون بالألفاظ عن اضطراياتهم أكثر مما يترجمون عن تماثلهم : « الأسلوب الأول أن تستعمل الألفاظ الجارية مع تبديل مدلولاتها المتعارفة ، أو أن يؤلف بينها بحيث تفقد معانيها المحددة ، وأما الأسلوب الثاني فاستعمال ألفاظ جديدة أو ألفاظ مهجورة ، وأما الأسلوب الثالث - وهو الأصح هنا - فإن يجعل للألفاظ قيمة اضطرابية غيب »

فأنت ترى أن السيد متولى استشهد بجزء من كلام (ريبو) ليؤيد نظره المنرض ، وإلا فكيف يبرر وقوفه عند الشرط الأول من الأسلوب الأول لكتاب الرمزيين ، ثم تركه الشرط الثاني من هذا الأسلوب ، ثم الأسلوبين الآخرين ؟ ١

سبب هذا الترك المتعمد ، ثم هذه الترجمة البتراء ، أنه جاء في توطئة (مفرق الطريق) أن مؤلفها يمد الرمز عن التشبيه والتكناية ويختلف ضروب الهجاز - وهو ما قصد إليه (ريبو) في الشرط الأول من الأسلوب الأول - وعلى ذلك فقد زين اعترافه للنقد المنرض لمتولى أن يسقط من كلام (ريبو) ما لا يصح أن يكون عكازاً له ١١

٤ - وهناك خلط آخر ، والمجرب ممنوع مقدماً ...

وقف للقارى في عرضنا لمذهب (ريبو) على أن ريبو يدخل تحت (الخيالية السبالة) بعض التصورات الدينية وبعض ألوان الفن . ويشرح ريبو كيف تدخل هذه وتلك تحت الخيالية المذكورة . وقد عسى بأن يفصل بينهما في السياق ، فجاء

(١) مقال الأستاذ متولى . الرسالة رقم ٣٧٦ ص ١٤٤٩ ، المبرود